20 me. année No 987

Le Caire 2 — 6 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٩٨٧ «القاهرة فى يوم الاثنين ٩ رمضان سنة ١٣٧١ — ٢ يونية سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

إن الحكم لواحد ..

للاستاذ سيد قطب

عجيب هذا القرآن ! يقرؤه القارئ ويعيده ، ويحفظه ويرتله ، ويفسره ويفهمه ، ويخيل إليه أنه قد استوعب معانيه ، وأدرك مراميه ، ويمر بالنصوص بعد هذا مرارا عابرا ، غير متوقع أن يجد فيها جديدا غير ما فهمه منها ووعاه

وفجأة يتلو أو يستمع ، فإذا ايحاءات جديدة عجيبة للكلمة والآية تلتمع فى الذهن والحس والقلب، لم تخطر من قبل أبدا ؛ وإذا آفاق من التأملات والمشاعر والتأثرات تتفتح ، لا يدرى أين كانت محبوسة فى النص الواضح البسيط !

وهكذا يبدو أن رصيد هذا الكتاب العجيب الخالد لا يفنى ولا ينتهى ، وأن معين الإلهام فيه لا يضمحل ولا يغيض، وأن الدنيا ستظل تكشف فيه آفاقا بعد آفاق ، كلما استعدت طاقتها لتلقى ما فيه من إيحاءات : « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

تلك الآية البسيطة القصيرة التى مثلت بها هذه الكلمة « إن الحكم لواحد » .. كم من مرة تلوتها ، وكم من مرة سمعتها ، وكم من مرة ضمنتها .. ولكنى أنتفض لفجأة على لمسة منها لروحى وحسى ومشاعرى جميعا . لمسة لم أعهدها من قبل فيها ، على طول صحبتى للقرآن ، وعلى طول عيشى فى ظلال القرآن ..

إن الحكم لواحد ..

إنه مفرق الطريق فى حياة البشرية .. إنه الانقلاب الأكبر فى خط سيرها الطويل .. الانقلاب من العبودية إلى الحرية ، من الخوف إلى الأمن ، من المهانة إلى الكرامة ، من السيئة والضلال والفوضى ، إلى الهدى والنور والنظام . إنه إعلان وجود الإنسان ، الذى لا يستذل لإنسان مثله ، كائنا من كان

وإننى لأنظر إلى البشرية فى تاريخها المتطاول ، قبل أن توحد الإله ، فأطلع على صحائف من الهوان ، وعلى أودية من الحيرة ، وعلى ألوان من القلق .. الأوهام تسحقها ، والمخاوف ترهقها ، والعبودية تطحنها .. وإن هى إلا جلة واحدة . جلة مشحونة بما يملأ صفحات وكتبا. بل بما يشغل أجيالا وقرونا . جلة واحدة تغير وجه التاريخ ، وطبيعة الحياة ، وضمائر اللابين ، وعلاقات الأفراد والجماعات ؛ وتملأ كتاب البشرية كله لتخط صفحة خالدة فى كتابها الجديد..

إن الحكم لواحد ..

هو وحده القادر ، وهو وحده القاهر .. لو اجتمع أهل هذه الأرض على أن يضروا أحدا من خلقه بغير إرادة منه ما قدروا ؛ ولو اجتمع أهل هذه الأرض على أن ينفعوا أحدا من خلقه بغير

إرادة منه ما استطاعوا : « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب »

إن الحكم لواحد ..

لا تعنو الحياة إلا له ، ولا تتوجه القلوب إلا إليه ، ولا تنحنى الهامات إلا لجبروته . فإذا عفرت له الجباه مرة فقد عزت أمام الجبابرة . وإذا ركع له الراكعون مرة فقد نصبوا هاماتهم أمام الطغاة ، وإذا عبده العابدون فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين

إن الحكم لواحد ..

هو وحده والكل سواه تمال . هو وحده والكل دونه ضئال . هو وحده يخفض ويرفع ، ويعطى ويمنع ، ويعز ويذل ، ويفعل ما يشاء : « قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء وتذل من تشاء . بيدك الخير . إنك على كل شئ قدير »

إن الحكم لواحد ..

عقيدة ما أحوج المكافحين إليها .. تشد من عزائمهم ، وتمنحهم القوة التى لا تصمد لها قوة ، وتصلهم بالواحد الأحد الذى يجير ولا يجار عليه

ما أحوجنا إلى هذه العقيدة — ونحن نجتاز امتحاناً عسيراً ، سقطت فيه رجولات كثيرة . رجولات زائفة مموهة ، خدعت الكثيرين . حتى إذا جاء دور الامتحان تهاوت تحت مطارقه ، وتساقطت ذابلة ذليلة صفراء كأوراق الخريف

ما أحوج الذين جبنوا بعد تشجع ، وتخاذلوا بعد تماسك ، وأحجموا بعد إقدام — ما أحوجهم جميعا أن يتدبروا تلك الآية القصيرة ، وأن تلمس قلوبهم جذوتها المقدسة ، فيرتد الجبناء شجعاناً ، والمتخاذلون أقوياء ، والمحجمون أجرياء . ويستشعروا كرامة الإنسان التى تأبى ذل الإنسان

الا كم سقطت رجولات مزيفة فى محرة الامتحان .. سقط بعضها تحت مطارق الخوف ، وبعضها تحت مطارق الطمع ، وبعضها تحت مطارق الحرص ، وبعضها تحت مطارق الجشع ، وبعضها تحت مطارق الذل ، وبعضها تحت مطارق الإرهاب .. وكلها .. كلها ما كان أحوجها إلى لمسة من ذلك الروح ، تنفض عنها المخاوف والمطامع ، وتطهرها من الحرص والجبن ، فتتطلع إلى أعلى دون انحناء ، وتعتز بالجبار القاهر فلا تعنو منها الجباه

* * *

انتفضت كل هذه المعانى انتفاضة مفاجئة فى نفسى ، وأنا أمر مروراً عابراً بتلك الآية القصيرة الواضحة البسيطة .. فإذا جبابرة الأرض كلهم فى عينى أقزام .. وإذا طغاة الأرض كلهم فى حسى أوهام .. وارتسمت فى نفسى بحروف من نور كلمات أخرى من ذلك القرآن

« أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ؟ »

لا بل الله الواحد القهار ، الله أحنى له الرأس مرة ، ثم أنظر من عل إلى جميع الرؤوس . الله أسجد له مرة ، ثم أنهض لأحتقر الجبارين ، الله ، تستمسك يدى بعروته ، ثم ليكن بعد ذلك ما يكون

* * *

بعض من يخاتلون أنفسهم ، ويخونون الإنسانية كلها معهم ، يراودوننا على أن نفقد هذا الإله بعدما وجدناه ، يراودوننا على أن نجرد نفوسنا من هذه القوة الكبرى . يراودوننا على أن نواجه قوة الشر والظلم دون سلاح

إنهم يخاتلون أنفسهم ، وإنها لخيانة للبشرية كلها فى كفاحها الطويل ، كفاحها ضد الظلم والشر ، كفاحها ضد الحرص والجشع ، كفاحها ضد الهوى والشهوة ، كفاحها ضد الضعف والتوهل ، كفاحها ضد العبودية التى استبدت من قبل بالإنسان

إنها معركة طويلة الأمد ، فما أحوج الإنسان فيها إلى إله ، إله واحد لا معبود للناس سواه

سيد قطب